

قضايا مؤدية إلى إصلاح المنهج التعليمي للغة العربية

بقلم: أحمد فطاني

الجامعة المحمدية بمالانج جاوى الشرقية

ملخص

يعد إصلاح المنهج التعليمي من أهم القضايا في تعليم اللغة الذي تنبني عليه كل عملية التعلم والتعليم. ففيه تخطط الأهداف التعليمية وتقرّر البرامج، وتحدّد النشاطات التعليمية وإستراتيجية تقديمها للمتعلّم، والكفاءات التي تستهدفها وكيفية تقويمها بشكل يساعد المعلم والمتعلم على التعليم والتعلم الفاعل وذلك لتحقيق الأهداف المنشودة. وفي هذا الإطار سيتطرق هذا البحث لتطوير اللغة العربية إلى المنهج الدراسي للغة العربية من الناحيتين النظرية والتطبيقية حتى يواكب تعليمها وتعلمها التطورات العلمية والتكنولوجية الحاصلة بتزويد المتعلمين بكفاءات يمكنهم استثمارها في مختلف وضعيات التواصل الشفهي والكتابي. يهدف هذا البحث عن إصلاح منهاج تعليم اللغة العربية باعتبارها اللغة الأجنبية ولغة التعليم الديني. يعتبر هذا الموضوع مهماً لأنه هو الأساس لتطوير المنهج التعليمي في إندونيسيا خاصة. ومن الضروري عمل التقييم الدقيق للمنهاج التعليمي قبل القيام بأي إصلاح في ضوء السياسة التربوية للبلاد وكذا المحيط السياسي والاجتماعي والتكنولوجي. وفي هذا الإطار سيتطرق الباحث من الناحيتين النظرية والتطبيقية حتى يواكب التعليم للغة العربية وتعلمها التطورات العلمية والتكنولوجية بتزويد الكفايات اللغوية يمكن المتعلمين استثمارها في مختلف وضعيات التواصل الشفهي والكتابي. ويبدو أن يستحيل علينا ذلك إلا بوضع منهاج مناسب وسياسية لغوية لمواجهة المشكلات التعليمية وتلبية متطلباتها.

الكلمات الرئيسية: إصلاح المنهج، مشكلات التعليم، المنهج التعليمي.

مقدمة

إصلاح المنهج التعليمي عملية تخطيط الأهداف التعليمية وتقدير البرامج، وتحديد النشاطات التعليمية وإستراتيجية تقديمها للمتعلم، والكفاءات التي تستهدفها وكيفية تقويمها بشكل يساعد المعلم والمتعلم على التعليم والتعلم الفاعل وذلك لتحقيق الأهداف المنشودة. وفي هذا الإطار سيتطرق هذا البحث لتطوير اللغة العربية إلى المنهج الدراسي للغة العربية من الناحيتين النظرية والتطبيقية حتى يواكب تعليمها وتعلمها التطورات العلمية والتكنولوجية الحاصلة بتزويد المتعلمين بكفاءات يمكنهم استثمارها في مختلف وضعيات التواصل الشفهي والكتابي.

والهدف من هذا البحث هو الإسهام في الجهود الرامية إلى تطوير تعليم اللغة العربية وتجويده في إندونيسيا خاصة باعتبارها اللغة الأجنبية ولغة التعليم الديني. ومن المفيد في كلّ محور من المحاور المقترحة أدناه الاهتمام بالتجارب في تعليم اللغة العربية، بهدف الاستفادة من تلك التجارب والنتائج الحاصلة في تطوير منهاج تعليم اللغة العربية وتعلّمها بمختلف عناصره.

واتفقنا أن تقييماً دقيقاً للمنهاج التعليمي الموجود ضروري قبل القيام بأي إصلاح. ويجب أن يأخذ التقييم المذكور في الحسبان السياسة التربوية للبلاد، وكذا المحيط السياسي، والاقتصادي، والسكاني، والثقافي، والاجتماعي، والتكنولوجي. فمن الضروري تحديد المشاكل التي ينبغي حلها، والحاجات التي ينبغي سدها، والأولويات التي ينبغي التطرق إليها. كما يجب تقديم توصيات من أجل العمل والتنفيذ. أما المسائل ذات الصلة، مثل ولوج التعليم ومدى المشاركة والحفظ والعلاقة والكفاءة وجودة البرامج وتوفير التدريبات، فيجب أخذها كذلك بعين الاعتبار. أما التغييرات المهمة في الأهداف والمحتوى وطرق التدريس المستعملة في المنهج، فينبغي مراجعتها على ضوء الإنجاز التربوي

القائم، والإكراهات التي ينبغي تجاوزها.

تحديد المشكلات في تعليم اللغة العربية

وتختلف التحديات التي تواجه أثناء تطبيق برامج المنهج من بلد لآخر. إلا أن هناك كثيراً من القضايا المشتركة تواجهها البلدان النامية، من بينها ما يلي: التركيز على الامتحانات، ففي كثير من البلدان النامية، يكون هدف التربية الأساس هو اجتياز امتحانات في عدد قليل من المواد والكفاءات المنتقاة. والإنجاز الضعيف في الامتحانات يمكن أن يؤدي إلى اتهام المناهج بعدم الكفاية، أو بانعدام الكفاءة في التدريس، أو بهما معاً^١.

وفي الواقع أن تعليم اللغة العربية في إندونيسيا -على سبيل المثال- يواجه مشكلات متعددة، فمن المشكلات ما يتعلق بالمتعلم والمعلم والمنهج^٢. ويرى الآخر أن المشكلات مصدرها ينحصر في ثلاثة أمور: الأول: الكفاءة اللغوية للطلبة ورغبتهم في دراستها. والثاني: الكفاءة اللغوية للمدرسين ومدى جودتهم في تطبيق المنهج المقرر، والثالث: نظام المدرسة نفسها ومنهجها الدراسي^٣.

أما المشكلة المتعلقة بقدرة الطلبة اللغوية ورغبتهم في تعلمها فهي ما يلي: (أ) تفاوت المستوى اللغوي بين الطلاب للذين تم قبولهم في السنة الدراسية الجديدة، وذلك لأن المدرسة أو الجامعة لا تعقد لهم امتحان القبول على

^١ انظر وينسم كوردن، تطوير المنهج التعليمي وإصلاحه في إفريقيا، ترجمة عن الإنجليزية الدكتور عبد السلام الحقوني (منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة- إيسيسكو- الرباط، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ص. ١٢.

^٢ أورل بحرالدين، تطوير منهاج تعليم اللغة العوئية وتطبيقه على مهارة الكتابة، مالانج. UIN MALIKI Press ص. ١٥.

^٣ عبد الحافظ زيد، مشكلات تعليم اللغة العربية في المدارس العربية الثانوية بإندونيسيا، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي: اللغة العربية والأدب الإسلامي منهاجاً وتطوراً بباندونج في الفترة 23-25 أغسطس ٢٠٠٧، ص. ٦٩.

أساس لغوي.

(ب) قدرة الطلبة المرشحين تنحصر في كفاءة واحدة من الكفاءات اللغوية الأربع، وكان أكثرهم يجيبون القراءة أو الكتابة أو كليهما، وهم قليلون.
 (ت) شعور الطلبة باليأس من تعلم اللغة العربية لمعرفتهم أن القواعد العربية من أصعب القواعد وأغناها في العالم، ويأتي هذا الخبر من المدرس نفسه.
 (ث) عدم رغبة الطلبة في تعلم اللغة العربية لأسباب كثيرة، منها أن اللغة الإنجليزية -مثلاً- أهم من اللغة العربية، أو لأنهم لا يحبون مادة اللغة العربية لسبب ما، أو لأن المدرس لا يجعل تعلم اللغة العربية مشوقاً، أو لأن الطلبة عرفوا المواد التي يدرسونها مسبقاً فيملون من سماع شرح المدرس.^٤

إن نجاح المدرسة أو الجامعة في تعليم اللغة العربية يمكن اعتباره من خلال الكفاءة اللغوية لخريجه، فإذا أجاد الطلاب اللغة العربية ونطقوا بها بشكل سليم، تعتبر المدرسة ناجحة في تعليمها. إذًا فيمكننا اعتبار الطلبة الخريجين معياراً لنجاح المدرسة في تطبيق برامجها.

وأما المشكلة المتعلقة بكفاءة المدرسين اللغوية ومدى جودتهم في تطبيق المنهج المقرر فكما يلي:

(أ) عدم استيعاب المدرس على المواد الدراسية نتيجة التغييرات الكثيرة في المنهج الدراسي.

(ب) اهتمام المدرس بالمادة ضعيف لأسباب كثيرة، منها: تراكم وظائفه، وعدم رغبته في تعليم اللغة العربية، وكثرة المواد التي يدرسها في المدرسة أو الجامعة وتنوعها، واكتفائه بالمعلومات السابقة في تعليمه فيؤدي إلى ظهور الملل والسآمة في نفسه.

^٤ نفس المرجع، ص. ٧٢.

(ت) المدرس غير مدرب على تعليم اللغة الأجنبية، فيعلمها بطريقة عشوائية ليس لها أدنى صلة بتعليم اللغة فتؤدي إلى عدم رغبة الطلبة في متابعة الدروس.

(ث) المدرس لا يحضر درسه قبل تعليمه، فيدخل الفصل من غير أي إعداد.

(ج) المدرس لا يجيد التشويقات في تعليمه فيشعر الطلبة بالملل وعدم الرغبة في تعلم اللغة العربية.^٥

كما أن للمدرسة دورها المهم في برنامج اللغة العربية، فإن للمدرس أيضا دوره المهم في إنجاح هذا البرنامج. يقول بعض علماء التربية إن الطريقة أهم من المادة، والمدرس أهم من الطريقة، وروح المدرس أهم من المدرس نفسه. فنشأت المدرس مطلوب في عملية التعليم، لأن المدرس بروحه أن يرفع معنويات الطالب.^٦

ولهذا، فإن الإعداد الصحيح للمعلم وتأهيله تربويا لغويا يعد صمام الأمان لنجاح العملية التعليمية. وقد كشف العديد من البحوث والدراسات التطبيقية عن النقص الواضح في المعلمين المؤهلين.

وأما المشكلات الناتجة عن نظام المدرسة ومنهاجها الدراسي وهي:

(أ) عدم قدرة المدرسة على خلق مناخ لغوي طيب للطلبة والمدرسين لعدة أسباب.

(ب) اهتمام المدرسة بالمواد العربية أقل من اهتمامها بغيرها، فالطلبة لا يجدون تشجيعا من المدرسة لتعلم هذه اللغة.

(ت) اهتمام المدرسة في تعليم اللغة العربية ينحصر في تعليم علوم اللغة،

^٥ نفس المرجع، ص. ٧١

^٦ رشدي أحمد طعيمة ومحمود كامل الناقة، تعليم اللغة اتصاليا بين المناهج والاستراتيجيات (منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة- إيسيسكو- الرباط). ص. ٢٦٨

مثل النحو والصرف، مع أن اللغة من العلوم التي لا بد من تطبيقها وهي تكتسب من خلال ممارسة طويلة.

(ث) إمكانات المدرسة محدودة، مع أن تعليم اللغة العربية يحتاج إلى عدة وسائل تسهل الطلبة في اكتساب المهارة اللغوية، مثل المعمل والكتب.

(ج) الحصص المتاحة لتعلم اللغة العربية وللنشاط اللغوي قليلة بالمقارنة مع المواد الأخرى.

(ح) المدرسة لا تعقد امتحان التصنيف، فيصعب على المعلم تعليم الطلبة لتفاوت قدراتهم اللغوية.^٧

انطلاقاً من هذا المبدأ، لا بد أن تكون للمدرسة حرية كاملة في اختيار منهاجها لأنها أدري بأمورها وبظروف المدرسين والطلبة.

أهمية إصلاح المنهج التعليمي ومعاييرها

السؤال هنا، متى يجب إصلاح المنهج؟ يصبح إصلاح المنهج ضرورياً عندما يعجز المنهج المتداول عن الاستجابة لاحتياجات ومصالح المجتمع الذي وضع لخدمته. ويكون إصلاح المنهج إما إصلاحاً تدريجياً مستمراً، وإما إصلاحاً دورياً. وفي كلتا الحالتين، هناك مجموعة من العوامل يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار، من بينها:

(أ) يجب أن يكون هناك تقييم تحليلي للمنهاج الموجود من أجل تبرير أي إصلاح مقترح.

(ب) يجب مراجعة الاحتياجات التعليمية من وجهة نظر كل من متطلبات الفرد المتعلم والاحتياجات التنموية الوطنية.

^٧ عبد الحافظ زيد، مشكلات تعليم اللغة العربية...، ص. ٧١-٧٠.

- (ت) يجب أن يتحقق إجماع حول إصلاح المنهج.
- (ث) يجب أن تكون أهداف المنهج ومحتواه ومنهجيته محددة بشكل ملائم.
- (ج) يجب أن تكون اللوازم الضرورية لدعم المنهج متوفرة.
- (ح) يجب أن تكون الأطر الضرورية لتصميم المنهج المعدل وتطبيقه وتقييمه موجودة.
- (خ) يجب أن يكون المنهج المعدل مقبولاً من طرف المربين ومتبعاً في المؤسسات التربوية.
- (د) يجب أن تكون الإجراءات الخاصة بالتقييم واسترجاع المعلومات مقررة.
- (ذ) يجب أن تكون تكلفة برنامج الإصلاح ووسائل تمويله محددة ومضبوطة.^٨
- لا شك أن إرضاء كل هذه المعايير عملية طويلة ليست بسهولة، إلا أن مدى نجاح إصلاح المنهج في إحداث التغيير المرغوب فيه سيتوقف على الاهتمام الذي يعطى لهذه المعايير.

المنهج والسياسة اللغوية لإصلاح تعليم اللغة العربية

إن تعليم اللغة العربية في العصر الحاضر أصبح مجالاً متعدد الأبعاد^٩ لا يتعلق فقط بالتعليم اللغوي وإنما يتعلق كذلك بالسياسية اللغوية. وقد علمتنا العولمة اللغوية أن اللغات السائدة في هذا العصر فازت بالمنافسات في التواصل الدولي ليس عن طريق التعليم فقط وإنما أيضاً عن طريق السياسة اللغوية المدعومة لها، مما يعني أن مجال تعليم أي لغة أجنبية في هذا العصر يجب أن يستند إلى التآزر بين المنهج والسياسة. وتتناول السطور التالية منهجا

^٨ وينسم كوردن، تطوير المنهج التعليمي... ص. ١٠.

^٩ انظر رشدي أحمد طعيمة ومحمود كامل الناقة، تعليم اللغة اتصاليا بين المناهج والاستراتيجيات (منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة- إيسيسكو- الرباط) ص. 134

يمكن الاستناد إليه في تعليم اللغة العربية كلغة أجنبية وسياسة يمكن وضعها لدعم تعليمها.

المنهج

لم تكن عموماً مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في إندونيسيا- منذ السبعينيات حتى العقد الحاضر- مناهج يتم تصميمها شكلياً وتطبيقها عملياً في ضوء مواجهة المشكلات المذكورة وتلبية متطلباتها. أو بعبارة أخرى إن ظاهرة المشكلات الكثيرة لم تكن مما يراعى في عملية وضع المناهج الملائمة. لذلك فمن الضرورة بالنظر إلى المناهج المناسبة خاصة الأسس التي تنبني عليها عملية بنائها والعناصر التي تتكون منها بنيتها في إطار إصلاح مناهج تعليم اللغة العربية.

أسس بناء المنهج

إن تعليم اللغة العربية في إندونيسيا تواجه التحديات المتعددة الأبعاد. لذلك فلا بد أن يكون المنهج المتبع لتعليم هذه اللغة وتعلمها مصمماً تصميمياً كاملاً ومبنياً بناءً شاملاً على عدة أسس أهمها ما يلي:^١

أ. الأسس النفسية

تتعلق هذه الأسس بالجوانب النفسية التي لها أثر كبير في تعليم اللغة العربية وتعلمها للأجانب ومن ثم يجب مراعاتها في عملية بناء المنهج من جانب ويجب من معالجتها في تطبيق المنهج من جانب آخر. وثمة جوانب كثيرة تنضوي على هذه الأسس نذكر أهمها وأشدّها ضرورة في عملية بناء مناهج تعليم اللغة العربية وتعلمها وهي:

^١ رشدي أحمد طعيمة ومحمود كامل الناقية، تعليم اللغة اتصالياً بين...، ص. ٨٩-١٢٥

(١) الدافعية

وهي قوة نفسية دافعة تلعب دورا بالغ الأهمية أثناء عملية التعليم والتعلم لدرجة أن يصدق أن أي طالب أجنبي لن يستطيع أن يتعلم اللغة العربية ما لم تكن لديه الدوافع أو الرغبة في تعلمها، ذلك لأنَّ الدوافع هي التي تدفعه إلى بذل ما لديه من طاقة عقلية وجسمية من أجل إتقانها. والدافعية نوعان هما الدوافع الوسييلية (-*instru* *mental motivations*) والدوافع التكاملية (-*integrative motiva* *tions*). إن الدوافع الوسييلية تدفع الأجنبي إلى تعلم اللغة العربية من أجل قضاء حاجات قصيرة المدى، مثل الحصول على الوظيفة الشاغرة، أو التمتع بالسياحة، أو الاستجابة لمتطلبات مقرر دراسي معين أو الحصول على درجة علمية أو اكتساب المهارة للاتصال بالكتابة المعينة، أو الاستجابة لشعائر دينية يلزمهم أدائها بهذه اللغة. أما الدوافع التكاملية فهي التي تستحث الأجنبي على تعلم اللغة العربية من أجل تحقيق أهداف أهمها: الاتصال بمتحدثي اللغة العربية وممارسة لغتهم وفهم ثقافتهم وتقاليدهم. وهناك نوع آخر من الدافعية وهي الدافعية الانتمائية، وهي ما يستحث الأجنبي على تعلم اللغة العربية من أجل الانتماء إلى المجتمع العربي والاندماج فيه.

والجدير بالتأكيد هنا أن هذه الأنواع من الدافعية ليست أساسا من أسس بناء المنهج فقط وإنما يجب أن تكون هدفا من أهدافه أيضا بمعنى أن المنهج المصمم لتعليم اللغة العربية يجب أن يسعى إلى تقوية هذه الدافعيات-خاصة الدافعية التكاملية-وتوطيدها في صدور متعلمي هذه اللغة العربية. ذلك لأن من أبرز المشكلات التي يتعرض لها متعلمو اللغة العربية الأجنبي هي قلة الدافعية وانعدامها

نتيجة اتجاهاتهم السلبية لهذه اللغة واعتبارهم إياها بأنها لا تلي متطلبات حياتهم في عصر العولمة.

وعملية توطيد الدافعية يمكن أن تتم من خلال المعلم أثناء عملية التعليم والتعلم وذلك عن طريق- على سبيل المثال- إقحام الطلاب أن تعلم اللغة العربية سوف يساعدهم على تحسين مستواهم وأوضاعهم من خلال العمل في المجالات التي تطلب إجادة اللغة العربية. وتحقيقا لذلك يجب أن تكون المواد التعليمية وطريقة تدريسها وضعت ووظفت بطريقة تثير وتوطد دافعية إيجابية لدى الطلاب لإيجاد اللغة العربية.

(٢) الاتجاهات

يمكن تعريف الاتجاهات (#) بأنها هي حالات استعداد عقلي وعصبي نُظِّمَتْ عن طريق التجارب الشخصية وتعمل على توجيه استجابة الفرد لكل الأشياء والمواقف التي تعلق بهذا الاستعداد. وفي مجال تعليم اللغة العربية قد تكون الاتجاهات إيجابية ومن ثمَّ تلعب دورا إيجابيا في عملية تعليم اللغة العربية وتعلمها، وقد تكون سلبية ومن ثم تلعب في أغلب الأحيان دورا سلبيا في تعليم هذه اللغة وتعلمها. واتجاهات الأجانب نحو اللغة العربية وتعليمها وتعلمها-شأن دوافعهم لذلك- يمكن وصفها بصفة عامة سلبية. ذلك لأن العولمة التي تأتي من خلال سيطرة اللغة الغربية وهيمنة الثقافات الغربية قد جعلت أبناء المسلمين يرون أن هذه الثقافة المهيمنة وتلك اللغة المسيطرة هي الخيار الوحيد الذي يمكنهم من عيشة هذا العصر بصورة أفضل وهذا يكرس لديهم اتجاهات إيجابية نحو لغات هذه الثقافة وتكرس في المقابل اتجاهات سلبية نحو لغات الثقافات غيرها بما فيها اللغة

العربية والثقافة الإسلامية حيث يعتبرون بأنها لا تلعب دورا يذكر في فوز منافسات الحياة في العصر الحاضر.

لذلك فلا بد في عملية بناء منهاج اللغة العربية من مراعاة هذه الجانِب النفسي لتكون ليس أساسا من أسس هذه العملية فقط وإنما أيضا هدفا من أهدافها. لذا يجب أن تتكون بنية المنهج من عناصر تستطيع أن تركز اتجاهات إيجابية لدى الأجنبي تجاه اللغة العربية وتعليمها وتعلمها. ويمكن أن يتم ذلك من خلال إدماج في محتوى المنهج ما يبرز صورا تستحق التقدير وتثير الاهتمام من اللغة العربية وثقافتها.

الأسس اللغوية

تتعلق هذه الأسس بالجوانب اللغوية التي يجب أن يتمحور حولها بناء منهاج تعليم اللغة العربية. وهذه الجوانب كثيرة ولعل أهمها دورا لإنجاح تعليم اللغة العربية ما يلي:

(١) الجانب الاتصالي

إن كون اللغة وسيلة للاتصال أوضح من أن يناقش. فاللغة يستخدمها الإنسان للتعبير عن أفكاره وأغراضه تحقيقا للاتصال، بل إن اللغة تتكون نتيجة لوجود رغبة الإنسان كمخلوق اجتماعي في قضاء حاجاته للاتصال. ويعني هذه الطبيعة الاتصالية للغة في مجال تعليم اللغة العربية أن يتكون المنهج مما يمكن الطلاب من التواصل بهذه اللغة بشتى أشكال الاتصال في مواقف مختلفة.

والتركيز على هذا الجانب الاتصالي في وضع منهاج تعليم اللغة العربية ضروري لسببين: أولا، أن هناك دراسات دلت على أن المنهج الذي يفصل تعلم اللغة وتعليمها من طبيعتها الاجتماعية (طبيعة اتصالية) لن يحقق

نتائج مرضية. وثانياً، أن هناك اتجاهات سلبية عامة لدى الأجانب في تعليمهم وتعلمهم اللغة العربية وهي أن يتعلموا هذه اللغة ليست لأغراض اتصالية وإنما لأغراض دينية وهي تعليم العربية وتعلمها كوسيلة لفهم النصوص الدينية. ويترب على ذلك تدني القدرة اللغوية الاتصالية لدى الأجانب على استخدام اللغة العربية اللغة مما يؤدي إلى قلة استخدامها اتصالياً في الدول الأجنبية خاصة في الوقت الذي نجح مجال تعليم اللغات الأجنبية الأخرى وفي مقدمتها الإنجليزية في تنمية المهارات الاتصالية بين متعلميها.

إن تعلم اللغة العربية من أجل الأهداف الدينية ليس عيباً بكل التأكيد إلا أن التركيز المبالغ عليه يحرم المتعلمين الأجانب من إجادة اللغة العربية بصورة كاملة وشاملة وذلك لانحصار اهتمامهم على النحو والترجمة واستهانتهم بمهارات استخدام اللغة مثل مهارة الكلام والكتابة بوصفهما وظيفتين اتصاليتين أساسيتين للغة العربية. إلى جانب ذلك إن تعليم اللغة العربية وتعلمها على مثل هذا الاتجاه لا يتماشى مع وظائف مستجدة للغة العربية في عصر العولمة بوصفها لغة أجنبية لا ينحصر استخدامها على المجال الديني فقط وإنما قد توسع استخدامها لتكون لغة اتصالية في كل مجالات الحياة مثل المجالات الأكاديمية، والسياسية، والثقافية، والدبلوماسية، والسياحية، والصحافية، وغيرها من المجالات.

لذا فالتركيز على هذا الجانب الاتصالي في تعليم اللغة العربية -مرة أخرى- ضرورة للغاية. وتحقيقاً لهذا يجب أن يكون محتوى المنهج مشتملاً على المواد الاتصالية للغة العربية بشتى ألوانها. وهذا المحتوى يجب أن يكون تقديمه على المستوى التعليمي من خلال الطرائق، والأساليب، والوسائل التي تتبنى مدخلا اتصالياً وكل ذلك يتم في ضوء ما يعرف بعملية «تعليم اللغة اتصالياً».

(٢) الجانب الثقافي

تقوم بين اللغة والثقافة علاقة وطيدة ترجع إلى عدة أسباب أهمها: أولاً، أن اللغة تربط بين الثقافة وأبنائها. فالطفل يكتسب ملامح ثقافة بيئته من خلال اللغة. وثانياً، أن اللغة تنقل الثقافة إلى خارج حدودها، واللغة لا تكسب الثقافة لأبنائها فقط بل تنقلها من شعب إلى شعب ومن جيل إلى آخر. وهذا يعني أن تعليم أية لغة وتعلمها لا بد أن يتم في إطار ثقافتها، وإلا فلن ينجح.

ولكنه من الأسف الشديد أن هذا الجانب الثقافي هو أكثر ما يهمل في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها وذلك نتيجة رؤية أحادية الجانب بأن الثقافة الإسلامية التي يتم في إطارها تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها هي الثقافة الإسلامية السائدة في الدول العربية فقط دون غيرها من ثقافات الشعوب الإسلامية في الدول الأجنبية. وهذا يخالف تمام المخالفة لمفهوم الثقافة الإسلامية التي تعني المعتقدات والمفاهيم والمبادئ والقيم وأنماط السلوك التي يقرها الدين الإسلامي متمثلاً في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ومن ثم فإنّ هذه الثقافة تقتصر على المجتمعات الإسلامية بغض النظر عن المكان والزمان. كما يخالف طبيعة اللغة العربية التي ترتبط بثقافة الناطقين بها بصفة خاصة، وبثقافة الناطقين بغيرها من الشعوب الإسلامية بصفة عامة ارتباطاً عضويًا يصعب معه أن يحدث الانفصال بينهما.

وينتج من ذلك عدة أمور لعل أوضحها وأخطرها انحصار مواد تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها على الموضوعات حول الثقافة العربية الإسلامية، مما يجعل هذه المواد غريبة إلى حد كبير بالنسبة للناطقين بغير العربية وتجعلهم يشعرون بأن اللغة العربية لا تخدم احتياجات للاتصال بهذه اللغة في إطار بيئتهم وثقافتهم المحلية.

لذلك فلا بد من مراعاة هذا الجانب الثقافي في بناء منهج تعليم اللغة العربية خاصة في اختيار محتواه وتنظيمه لكي تقدر هذه اللغة بما تحمله من القيم الثقافية الإسلامية على مواجهة تحديات العولمة. لأن تعليم اللغة وتعلمها في هذا العصر يعني تعليم وتعلم ثقافتها وانتشار اللغة يعني انتشار ثقافتها. فليس علينا أبناء هذه اللغة في مواجهة هيمنة الإنجليزية والثقافة الغربية إلا تحبيب هذه اللغة القرآنية إلى أبناء المسلمين وغرس قيم ثقافتها الإسلامية في صدورهم لكي يستطيعوا مواجهة تيار العولمة بهويتهم الخاصة وهي الهوية اللغوية العربية والثقافية الإسلامية.

(٣) الجانب التكنولوجي

إن تعليم اللغات الأجنبية في ضوء اتجاه العولمة يتأزر مع التطورات التكنولوجية. وذلك على أساس الفرضية أن التطورات التكنولوجية تأتي دائما لتلبية احتياجات الإنسان. فاللغة بوصفها حاجة من حاجات الإنسان الأساسية لا بد أن تواكب كل تطور من هذه التطورات التكنولوجية. فالاتصال اللغوي في شتى أشكالها يتم اليوم مستعينا بكل أنواع الآلات التكنولوجية الحديثة. وكذلك في مجال تعليم اللغة حيث أصبحت عملية تعليم اللغة وتعلمها توظف كل أنواع التكنولوجية مما يجعلها أكثر فعالية.

ومن الأسف أن مجال تعليم اللغة العربية لم يستفد بصورة مرضية من هذا التطورات التكنولوجية، بل إن الاستفادة من التكنولوجية لم تكن مما يراعى في عملية بناء المنهج بحيث تنبني العملية على عدة أسس لم تكن الأسس التكنولوجية منها. ومما يترتب على ذلك تخلي عملية تعليم اللغة العربية وتعلمها من الاستعانة بالوسائل التكنولوجية الذي يؤدي بدوره إلى شيئين: عدم فعالية عملية التعليم والتعلم ذاتها من جانب، وتدني مهارة الطلاب على

استخدام التكنولوجيا في التواصل اللغوي من جانب آخر. ذلك إلى جانب أن هذه المشكلة تؤثر سلبيا على أداء المعلمين حيث أشارت العديد من الدراسات أن أغلبية المعلمين لا يجيدون استخدام الوسائل التكنولوجية التعليمية، وإن أجادوها لا يرغبون في الاستفادة منها في عملية تعليمية. هذا كله على حساب اللغة العربية نظرا لأن العولمة اللغوية في هذا العصر تتماشى مع العولمة التكنولوجية مما يعني أن اللغة التي لا تواكب التطورات التكنولوجية ستكون معزولة من ديناميكيات عصر العولمة.

لذلك فمن الضرورة بمكان الاهتمام باستخدام الوسائل التكنولوجية الحديثة في تعليم اللغة العربية وتعلمها لكي تزيد العملية نفسها فعالية ولكي يتدرب الطلاب الاتصال اللغوي مستخدمين الوسائل التكنولوجية الحديثة. وتحقيقا لذلك فلا بد من توفير كل أنواع الوسائل التكنولوجية التعليمية في مراكز تعليم اللغة العربية وتدريب المعلمين على استخدام هذه الوسائل في عملية التعليم.

١. السياسة اللغوية

من الملاحظ أن تعليم اللغات الأجنبية في العصر الحاضر خاصة المهيمنة منها مثل الإنجليزية لا يعتمد على المنهج فقط وإنما أيضا على سياسة لغوية تدعمه. لأن المنهج مهما كان فعالا لن يضمن نجاح تعليم أي لغة أجنبية في نطاق واسع ما لم تكن هناك سياسة لغوية تدعمه سواء أكانت تلك السياسة سياسة دولية وضعتها الدول الناطقة بتلك اللغة أم سياسة وطنية وضعها كل بلاد تدرس فيه تلك اللغة.

ومن الأسف الشديد أن اللغة العربية بصفتها لغة أجنبية كان وما زال تعليمها يعتمد على المناهج التعليمية فقط ولم تكن هناك أية سياسة لغوية واضحة وضعت لدعم ذلك سواء أكانت ذلك سياسة دولية تطبق

في جميع الدول الأجنبية أم سياسة محلية تخص دولة معينة تعني بتعليم اللغة العربية. وهذا يجعل تعليم اللغة العربية كلغة أجنبية يلجأ كثيراً إلى كونها لغة دينية مما يعني أن تعليمها وتعلمها تحدده رغبة المسلمين في فهم دينهم. إذا قويت هذه الرغبة زادت رغبتهم في تعلم اللغة العربية والعكس صحيح.

لذلك فمن الضرورة بمكان مبادرة وضع سياسة لغوية دولية كانت أم وطنية لدعم تعليم اللغة العربية لكي تستطيع مواكبة العولمة اللغوية في العصر الحاضر. والسياسة اللغوية تغطي جوانب كثيرة يمكن ذكر أهمها فيما يلي:

(١) السياسة في مجال تأهيل المعلمين

يمكن أن تتمثل السياسة اللغوية العربية بهذا المجال في تنسيق الدورات التدريبية لمعلمي اللغة العربية وذلك بهدف تزويد المعلمين على أيدي الخبراء بأحدث التقنيات التعليمية التي يمكن لهم تطبيقها في رفع مستوى تعليم اللغة العربية أينما كانوا. وتتمحور المواد المتدرب عليها حول تصميم المنهج وتطويرها، وإدارة المواد التعليمية وتطويرها، وطرائق التدريس وأساليبها، وإدارة الوسائل التعليمية واستخدامها، وإدارة نظام التقويم وأدواته، وثقافة اللغة العربية.

ويمكن تنسيق هذه الدورات التدريبية في مرحلتين تتخذ المرحلة الأولى شكل «تدريب المعلمين المدربين» وهو تدريب مجموعة من المعلمين البارزين الذين سوف يكونون فيما بعد مدربين لزملائهم المعلمين الآخرين. وتتمحور المواد التي يتدربون عليها حول الخبرات المعرفية والثقافية وغيرها من الخبرات التي تفيدهم في تحسين مستواهم في أداء مهنتهم. أما المرحلة الثانية فتتم على شكل «تدريب أثناء الخدمة»

وهو تدريب معلمي اللغة العربية وليس إعداد معلمي اللغة العربية مما يعني أن المشاركين في هذا النوع من التدريب هم الذين يتخصصون في تعليم اللغة العربية ويعملون عليه.

وقد قامت بعض الدول بممارسة مثل هذه السياسة اللغوية في برامج تأهيل معلمي اللغة الإنجليزية مثل أستراليا من خلال تدريبات أثناء الخدمة لمعلمي اللغة الإنجليزية في إندونيسيا التي تهدف إلى تزويد المعلمين بكل ما يحتاجون إليه في رفع أدائهم التعليمي من خبرات معرفية ومهنية وثقافية. وبالطبع أن مثل هذه السياسة اللغوية تلعب دورا يذكر في رفع مستوى تعليم اللغة الإنجليزية كلفة أجنبية في إندونيسيا، ومن ثم تكوين لدى المجتمع الإندونيسي اتجاهات إيجابية تجاه هذه اللغة وثقافتها ودوافع قوية لتعليمها وتعلمها.

٢) السياسة في تصميم المواد التعليمية وتطويرها

تتعلق هذه السياسة ببرامج مخططة في تأليف السلسلة التعليمية المتكاملة المضمون ليس فقط من الناحية اللغوية وإنما أيضا من الناحية التعليمية والثقافية. بعبارة أخرى أن السلسلة التعليمية المقصودة هي التي تغطي من الناحية اللغوية أغنى المواد اللغوية العربية في ضوء المهارات اللغوية الأربع، ومن الناحية التعليمية تنبني على أحدث نظريات ومبادئ تعليمية، ومن الناحية الثقافية تغطي الملامح والقيم الأساسية لكل من ثقافة الناطقين بالعربية وثقافة المتعلمين الناطقين بغيرها.

وتأتي أهمية تأليف مثل هذه السلسلة التعليمية من أن أهم ما يعاني منه مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها - خاصة من

الإندونيسيين- هو انعدام الكتب التعليمية الجيدة. إن الكتب المستخدمة لتعليم العربية حتى الآن يمكن وصفها بوجه عام غير جيدة حيث إن لها قصور من الناحية التالية:

الناحية اللغوية، إن الكتب التعليمية لم تغط جميع المهارات الأربع بصورة متوازنة حيث تحظى مهارة القراءة أكثر اهتمام مما تحظىه المهارات الأخرى. ويترتب على ذلك ترقية مهارة الطلاب في القراءة وتدني مهارتهم في الاستماع والكلام والكتابة.

الناحية الثقافية، إن الكتب التعليمية -سواء كانت الصادرة من الدول العربية أم المؤلفة في الدول الأجنبية- لم تستمد موضوعاتها من الثقافات الإسلامية المحلية التي ينتمي إليها المتعلمون الأجانب. ويترتب على ذلك عدم انفعال المتعلمين بهذه الموضوعات وتكوّن لديهم اتجاهات سلبية تجاه اللغة العربية بأنها لغة تخص ثقافة العرب وبيئتها ولم تتناول ثقافتهم وبيئتهم ويشعرون بأنها غير قابلة للتعبير عن أنفسهم وأفكارهم وبيئتهم.

الناحية التعليمية، إن المواد التعليمية في الكتب التعليمية لم يتم اختيارها وتنظيمها بشكل يراعي المبادئ التعليمية. ولعل أبرز ما يؤكد ذلك أن ترتيب المواد التعليمية خاصة الموضوعات النحوية يتقيد بتبويب الكتب النحوية وليس على أساس الاحتياجات اللغوية للمتعلم. ولعل أهم ما يقف وراء ذلك عدم استفادة عملية اختيار المواد وتنظيمها من الدراسات التقابلية بين اللغة العربية ولغة المتعلم. وبما أن هذه السلسلة التعليمية المراد تأليفها متكاملة من حيث المحتوى اللغوي ومتوازنة من حيث المحتوى الثقافي فلا بد في عملية تأليفها من التعاون والعمل الجماعي بين خبراء تعليم اللغة العربية

العرب ونظيرهم الأجانب، مثل التعاون بين خبراء تعليم اللغة العربية العرب ونظيرهم الإندونيسيين في تأليف السلسلة التعليمية لتعليم اللغة العربية في إندونيسيا.

(٣) السياسة في بناء المؤسسات اللغوية أو مراكز النشاط اللغوي

مما لا يختلف فيه اثنان أن من أهم العوامل المدعمة لهيمنة اللغات الغربية وسيادتها في العصر الحاضر هو وجود المؤسسات اللغوية التي أسست بهدف توفير كل ما يحتاج إليه المتعلم الأجنبي في إجادة هذه اللغات. اللغة الإنجليزية على سبيل المثال قد أصبحت لغة سائدة في إندونيسيا لأن تعليمها وتعلمها مدعوم بالمؤسسة اللغوية مثل المؤسسة البريطانية (*British Council*) ومؤسسة تعاونية إندونيسية أمريكية لتعليم اللغة الإنجليزية (ما يعرف في إندونيسيا بـ PPIA, LIA). وهذه المؤسسات تقدم برامج تعليم اللغة الإنجليزية على جميع المستويات من الابتدائي حتى المتقدم وتوفر كل الوسائل والتسهيلات وغيرها مما يحتاج إليه الإندونيسيون في تعلم الإنجليزية مثل المعلومات عن الدراسات والمنحة الدراسية في الجامعات الغربية. ويقدر متباين قامت بهذا الإنجاز اللغات الغربية الأخرى مثل الفرنسية والألمانية.

واللغة العربية رغم كونها من أكبر اللغات الأجنبية لم تحظ من مثل هذه السياسة ما يكفي من الدعم بل لم تكن هناك أي مؤسسة لغوية بنيت لتوفير كل ما يحتاج إليه الأجنبي لإجادة هذه اللغة. لذلك فليتبادر المعنيون بتعليم هذه اللغة إلى التعاون في بناء مؤسسات لغوية في الدول الأجنبية لتقديمهم جميع الوسائل والتسهيلات المساعدة في تعلم اللغة العربية خاصة ما يسد القصر في المواد

المقروءة حول اللغة العربية وثقافتها وتوفير الفرص للدراسة في الدول العربية مما يمكن الأجانب من الحياة مع هذه اللغة وثقافتها في بيئتها الطبيعية.

خاتمة

كما ذكر من قبل، كانت عملية تعليم وتعلم اللغة العربية في إندونيسيا تواجه عوائق ومشكلات كثيرة. وعند مواجهة هذه التحديات لا يتوافر لدينا إلا خيار وحيد وهو تغيير مناهجنا في تعليم هذه اللغة نحو ما يحافظ على طبيعتها كلغة الدين الإسلامي والثقافة الإسلامية من جانب ويضمن جودة المعلم في تعليم اللغة العربية خاصة للتلاميذ في المدرسة الابتدائية أن يلقي بأحسن الطريقة من جانب آخر. ويبدو أن استحيل علينا ذلك إلا إذا تبادرنا إلى وضع مناهج مناسبة وسياسة لغوية يمكنها من مواجهة التحديات التعليمية وتلبية متطلباتها.

لقد حان الوقت ألا نلجأ في تعليم اللغة العربية إلى كونها لغة الدين الإسلامي التي يرغب في تعليمها وتعلمها المسلمون في كل زمان ومكان ولا إلى كونها لغة القرآن المضمون بقاؤها ولا نتخذ من ذلك مبررا لنستسلم أمام ضعفنا وتخلفنا في هندسة تعليم هذه اللغة. وقد حان الوقت ألا نكتفي ونرضى ببقاء هذه اللغة دون سيادة وهيمنة ضمن غيرها من اللغات الحية في هذا العصر. إنه علينا الآن أن نحملها على السيادة والهيمنة بكل وسيلة ممكنة منهاجا وسياسة لتهيمن على غيرها من اللغات الحية في هذا العصر وتسود معها قيم ثقافتها الإسلامية في الحياة المعاصرة.

مصادر البحث

بحرالدين، أورل. ٢٠١٠. تطوير منهاج تعليم اللغة العربية وتطبيقه على مهارة الكتابة. مالانج. UIN MALIKI Press.

زيد، عبد الحافظ. ٢٠٠٧. مشكلات تعليم اللغة العربية في المدارس الثانوية بإندونيسيا، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي: اللغة العربية والأدب الإسلامي منهاجا وتطورا بياندونج في الفترة ٢٣-٢٥ أغسطس

طعيمة، رشدي أحمد ومحمود كامل الناقة. ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م. تعليم اللغة اتصاليا بين المناهج والاستراتيجيات. الرباط: منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة- إيسيسكو.

طعيمة، رشدي أحمد. ١٩٨٩. تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها: مناهجه وأساليبه. الرباط: منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة- إيسيسكو.

كوردن، وينسم. ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م. تطوير المنهج التعليمي وإصلاحه في إفريقيا، ترجمة عن الإنجليزية الدكتور عبد السلام الحقوني. الرباط: منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة- إيسيسكو.